ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 44 / عبد الحليم الغزّي
الاطار الفكري والمعرفي للتفقه الزهرائي في عقيدة الرجعة العظيمة بحسب المنهج اليماني ج15
ما بين التوجه بهم والتوجه اليهم ج6
الاثنين : 15/شوال/1446هـ - الموافق 14/4/2025م

"**الإِطَارُ الْفِكْرِيّ وَالْمَعْرِفِيّ لِلتَّفَقُّهِ الزَّهْرَائِيّ فِي عَقِيْدَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيْمَةِ بِحَسَبِ الْمَنْهَجِ الْيَمَانِيّ**"، ويَتحقَّقُ من ذَلك:
- **أولاً**: ثَباتُ عَقيدَة الرّجعَة العَظيمة منْ خلال استطعامها العَقليّ والقَلبيّ واستشرابها.
- **وثانياً**: التَّعمّقُ في عَقيدة الرّجْعَة العَظيمَة عبْر سَبر أغوارها الرّوحيّة.
وكُلُّ ذلكَ يَتحقَّقُ من خلال جُملة أُمور حَدَّثتكُم عَن بعضها ولا زلتُ أُواصلُ الحديثَ بِخُصوصِها:
- "**التَّواصُلُ الصَّحيحُ معَ القُرآن**"، هذا أوّلاً.
- وثانياً: "**درايةُ الحديثِ المعصُوميّ ورعايتُه**".
- وثالثاً: "**مَا بَيْنَ التَّوَجُّهِ بِهِمِ** - مُحمَّد وآل مُحمَّد إلى اللّه - **ما بينَ التَّوجُّهِ بِهِم والتَّوجُّهِ إليهِم** - لأنَّهم وَجهُ اللّه"، وهذا هُوَ التَّوسّلُ الَّذي حدَّثتكُم عنهُ في الحلقات المتقدِّمة، إنَّهُ يُمازِجُ عقيدةَ التَّوحيد مُمازَجةً كاملة..
فقد تمَّ الكلامُ في الشَّطرِ الأوّل؛ "التَّوجّهُ بِهِم إلى اللّه".
وانتقلتُ إلى الشَّطرِ الثَّاني: "التَّوجّه إليهِم لأنَّهم وَجهُ اللّه".
عرضتُ بينَ أيديكُم في الحلقة الماضية مجموعةً من الآيات منها مَا شَكَّلَ لنَا مُقارَبةً قُرآنيّة لتقريبِ معنى ومَضمونِ تَوَجّهنا إليهِم، ثُمَّ نقلتُ الحديثَ إلى آياتٍ تُخبِرنا صَراحةً من أنَّ اللّه شَيءٌ ووَجهُهُ شيءٌ آخر، وعَرّجتُ بعدَ ذَلكَ على ذكرِ العَبد الوَجيه.
"**العبدُ الوَجيه**"؛ هُوَ العَبدُ الَّذي وَجهُهُ باتِّجاه وَجه اللّه، ولذا يَنالُ منزلةً رفيعةً، هؤلاء هُم الَّذينَ مَحضُوا الإيمان..
ثُمَّ حدَّثتكم عن أوَّل صفة من صفات العَبد الوَجيه، أوَّلُ صفة هي إقامةُ وَجهِهِ باتِّجاه وَجه اللّه، ما جاء في سورة يونس، الآيةُ الخامسةُ بعدَ المئة بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾، مَن الَّذينَ لا يضعونَ الأسماءَ الحُسنى مَواضعها الَّتي وَضَعها القُرآنُ وبيَّنتها لنَا العترةُ الطَّاهرة، من هؤلاء، لأنَّ هؤلاء تَوحيدُهم ليسَ مَمزوجاً بالتَّوسّل، تَوحيدُهُم تَوحيدٌ إبليسيّ، أتحدَّثُ عَن توحيد سَقيفة بني ساعدة وعَن توحيد سَقيفة بني طُوسي.
في الآية الثَّلاثين بَعدَ البَسْمَلَة من سورة الرّوم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا** - المضمونُ المتقدِّم في الآية الَّتي قَرأتها عليكُم من سُورة يونس لكنَّ التَّفصيلَ هُنَا - **فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾، هذا هُوَ الَّذي يُريدهُ اللّه، يُريدُ توحيداً مَمزوجاً بالتَّوسّل..
- **لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ** - "الدِّينُ القَيِّمُ"؛ هُوَ هذا الَّذي تَوحيدهُ يُمازِجُهُ التَّوسّل، دينُ الفطرة - **وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، مثلما يُخاطبُ أميرُ المُؤمنينَ الشِّيعةَ ويقولُ لَهُم: (إنَّ أكْثَرَ الحقِّ فيمَا تُنْكرون)، هذا البرنامجُ يُحدِّثكُم عن عقيدة الرّجعة العَظيمةَ الَّتي يُنكرُها مراجعُكم ولا يَفقَهُونها..
في الآية الثَّالثة والأربعين بعدَ البسمَلَة من سورة الرّوم: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ**﴾، الدِّينُ القَيِّمُ بحسبِ بياناتِ أميرِ المُؤمنينَ في حديثِ المعرفة بالنُّورانيَّة هُوَ هُوَ نَفسُهُ دينُ القيِّمة الَّذي جاءَ مَذكُوراً في سورة البيِّنة.
فهذا المَعلَمُ الأوَّل، الصِّفةُ الأولى من حَالات العَبد الوَجيه؛ إنَّهُ يُقيمُ وَجهَهُ في فناء وَجه اللّه..
في سُورة البقرة، الآيةُ الثَّانية بَعدَ العَاشرة بعدَ المئة بعدَ البَسْمَلة: ﴿**بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾.
إذاً الصِّفةُ الثَّانية: "إسلامُ الوَجه".
والإسلامُ تَعني التَّسليم، أنَّهُ يُسلِّمُ وَجهَهُ لوجه اللّه، نَحنُ نتحدَّثُ هنا عَن القَلب، المضمونُ الَّذي يَرِدُ في الزِّيارات الشَّريفة: (**وَقَلْبِي لَكُم مُسَلِّم** - هو هذا - **وَرَأْيِي لَكُم تَبَع وَنُصْرَتِي لَكُم مُعَدَّة**)، هذه آثارُ التَّسليم، الآثارُ العَمليّة أينَ تَظهر؟ - **وَرَأْيِي لَكُم تَبَع**)، إنَّما كَانَ رَأيي تَبعاً لَكُم لأنَّ قَلبِي مُسَلِّمٌ لَكُم، وكانت نُصرتي مُعدَّةً لَكُم لأنَّ قَلبي مُسَلِّمٌ لَكُم، إلى بقيّة المضامين الَّتي تَرِدُ في الزِّيارات الشَّريفة..
في أحاديثنا الشَّريفة في معنى الإسلام الَّذي هُوَ عُنوانُ ديننا؛ الإسلامُ هُوَ التَّسليم.
التَّسليمُ لمَن؟ التَّسليمُ للَّذي نُصلِّي عليه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾، وهذا الَّذي نُسَلِّمُ عليه هُوَ الَّذي قالَ لنا؛ "إذا صَلَّيتُم عَلَيّ حَذارِ حَذارِ أن تُصَلُّوا الصَّلاةَ البَتراء"..
في سورة الشورى، الآية الثَّالثة والعشرين بعدَ البَسْمَلَة إنَّها آيةُ المودَّة: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً** - "**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**"؛ إنَّهُ الَّذي يَزدَادُ مَعرفَةً، وحينما يَزدادُ مَعرفةً يزدادُ حُباً، وحينما يَزدادُ حُباً يزدادُ تَسليماً - **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً**﴾، هذا هُوَ المُحسِن، المُحسنُ هُوَ الَّذي يتلبّسُ في هذه الحَسنة.
مَن يَزدادُ حُسْناً في مودَّته، إنَّما يزدادُ حُسْناً في مودَّته إذا ازدادَ مَعرفةً، إذا تَزيَّنَ عقلهُ وقَلبُهُ بحكمَة يَمانيّة بِحكْمَة مُحَمَّد وعَلِي وفَاطمَة، إذا ازدادَ مَعرفةً فإنَّهُ يزدادُ حُبّاً وعشقاً، وإذا كَانَ ذلكَ ازدادَ تَسليماً، وإذا ازدادَ تَسليماً ازدادَ إخلاصاً، فهذا هُوَ المُحسنُ..
في سورة النِّساء، الآية الخامسة والعشرين بَعدَ المئة بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** - "**وَمَنْ أَحْسَنُ ديناً**"؛ هذا هُوَ الدِّينُ الأحسن - **وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾.
حاجَتُنا في الشَّطرِ الأوَّل من الآية: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾، أعتقدُ أنَّ الآية واضحةٌ بعدَ البَيان المتقدِّم في الآية الَّتي تَلوتُها عليكُم..
في سورة لقمان، الآيةِ الثَّانية والعشرين بعدَ البَسْمَلَة: ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾، العُروةُ الوُثقى عُنوانٌ لعلي، وفي جهةٍ من جِهاتها عُنوانٌ لوَلايَة عَلي، يُسْلِمُ وَجهَهُ إلى اللّه إنَّما يتحقَّقُ هذا المعنى مثلما مَرّ علينا في الآيَتين المُتقدِّمتين.
أو ما يأتينا في الآية العشرين بعدَ البَسْمَلَة من سُورة آل عِمران: ﴿**فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ**﴾، إلى آخرِ ما جَاءَ في الآية الكريمة حيثُ الحديثُ عَن الَّذينَ أوتُوا الكتاب عن اليهود والنَّصارى.
- **وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ** - والأُمِّيِّينَ منَ العَربِ من أهلِ مكَّة - **أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا**﴾، "أأَسْلَمْتُم"؛ ليسَ باللِّسان، أأَسْلَمْتُم بِقُلُوبِكُم؟ وهذا الخِطابُ مُوجَّهٌ لنا أيضاً؛ أأَسْلَمْنَا؟ أم أنَّنا مُسلمونَ ننطقُ شهادات الإسلامِ فقط؟!

- **وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ**﴾، وإن تَوَلَّوا عنكَ لأنَّ إسلامَ القُلُوبِ يَكُونُ لكَ يَا رَسُولَ اللّه أن يُسلموا قُلُوبَهُم إليك ومَعك..
- **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** - ولذلك جاءت الآيةُ مباشرةً: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ** - وليسَ يكفُرونَ باللّه، يَكفُرونَ بِوسَائل اللّه بالوَسيلَة العُظمَى، إلى أن تَقُولَ الآيةُ: **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾.

وماذا يفعلون؟ - **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ**﴾، مثلما فعلت سقيفةُ بني ساعدة قَتَلوا رَسُولَ اللّه، ثُمَّ قَتَلُوا الزَّهراءَ فَاطِمَةَ وَقَتَلُوا جَنِينَها، واستمرّ هذا الأمرَ في الَّذينَ على دينهم على دينِ سَقيفة بني ساعدة، قَتَلُوا الأئمَّة جَميعاً.

وماذا يفعلون؟ - **وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ**﴾، يأمرونَ باتِّباع النَّبِيِّين، يأمُرونَ باتِّباعِ الوَصِيِّين، إنَّهُم يَقتُلُونَ النَّبِيِّين فإن لم يُدرِكوا زَمانَ النَّبِيِّين سيقتلونَ الَّذينَ يَأمُرونَ النَّاسَ باتِّباعِ دِين النَّبِيِّين بَعيداً عَن دِينِ رِجال الدِّين، هذا الصِّراعُ القديمُ الجديد دِينُ الأنبياءِ والأوصياء ودِينُ الأحبارِ والرُّهبانِ والصّحابَة..

إذاً هُناكَ إقامةُ الوَجْه، وهُناكَ إسلامُ الوَجْه، من جِهة العَبْد..

لا زالَ الكلامُ في الاتِّجاه نَفسه، العَبْدُ الوَجيهُ الَّذي وَجهُهُ باتِّجاه وَجه اللّه، يَتَّصِفُ بأنَّهُ يُقيمُ وَجْهَهُ باتِّجاه وَجْه اللّه، يُسْلِمُ وَجْهَهُ في فِناء طَاعة وعُبوديَّة وَجْه اللّه، ماذا يُريدُ من كُلِّ ذلك؟ يُريدُ وَجْه اللّه، هُوَ لا يُريدُ شيئاً..

الآيةُ الثَّامنةُ والثَّلاثون بعدَ البَسْمَلَة من سُورة الرُّوم والَّتي بعدها: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، بغض النَّظرِ عَن تفاصيل الآية، إنَّما تركيزي على الجهة المرتبطة بموضوع هذه الحلقة، أنَّنا نَتوجَّهُ إلَيهِم، نَتوجَّهُ إلى وجه اللّه.

﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ** - هذه مَصاديقُ منَ العَملِ الصَّالح - **ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، الَّذينَ يُريدونَ وَجْهَ اللّه في كُلِّ شيء، يُريدونَ وَجهَ اللّه بِعُقُولِهم بِما هيَ هِيَ عُقول، وبِقُلُوبِهم بِما هيَ هِيَ قُلُوب، يُريدونَ وَجهَ اللّه في كُلِّ شأنٍ منْ شُؤونِ حياتهم الدِّينيّة وحياتهم الدُّنيويَّة، هذا هُوَ المضمونُ العامُّ المهيمنُ والمسيطرُ على قُلُوبِهم وعُقُولهم، لا يعني أنَّهُم لا يرتكبونَ المعاصي، لا يعني أنَّهم لا يُخطئون، لا يعني أنَّهُم لا يجهلون، لكنَّ النِّيّة العامَّة والنِّيّة الأصلَ فيما تَأسَّست عليه عُقُولُهم وقُلُوبُهم أنَّهُم يُريدونَ وَجْه اللّه، لا يُريدونَ وجهَ غيره..

الآيةُ الَّتي بعدها: ﴿**وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ**﴾، الَّذينَ يَتضاعَفُ أجرُهم، يتضاعَفُ ثَوابُهم، يتضاعَفُ فَضلُهم أضعافاً، وكُلُّ إنسانٍ بِحسبِ نيّته، نَحنُ لسنا في سوقِ البقَّالين حتَّى يُحَدَّدَ كُلُّ ذلكَ بالأرقام، جودهُ سُبحانَهُ وتعالى لا حُدودَ لهُ، إلَّا أنَّ العطاء يكونُ بِحكمة، وإنَّما يكونُ العَطاءُ بِحكمة فإنَّهُ يَكونُ على أساسِ نيّة الإنسان، على أساسِ قيمة عَقله، فَقيمةُ كُلِّ امرئٍ ما يُحسن كما يقولُ أميرُ المُؤمنين، ما يُحسنهُ من حكمَة، ما يُحسنهُ من مَعرفة، ما يُحسنُهُ من علم، ما يُحسنهُ من عَمل صالح..

في سورَة الكهف، الآيةُ الثَّامنةُ والعشرون بعدَ البَسْمَلَة:﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ** - ماذا يُريدون؟ -**يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾، بِحسبِ الآيةِ وما جاء في بيانِ مَعناها؛"سَلْمَانُ الْمُحَمَّدِيَّ وأمثالهُ هؤلاء هُم.

قطعاً الخطابُ لرسُول اللّه، لكنَّ النَّبيّ الأعظمَ لا يُمكنُ أن يُخاطَبَ بهذا الخطابِ لنفسه، لكنَّهُ الخطابُ القرآنيُّ بلسانِ إيَّاكِ أعني وَاسمَعي يا جَارة، الألفاظُ تُوَجَّهُ لرَسُول اللّه والمضمونُ يُوجَّهُ لي ولَكُم للأمَّة، وهذه القاعدةُ من أهمِّ قواعد تفسير القُرآن بِحسب المنهج العَلَوي..

كلامُنا هنا؛ من أنَّ العَبدَ الوَجيه يُقيمُ وَجْهَهُ في فناء وَجه اللّه، يُسْلِمُ وَجْهَهُ في فَناء وَجْه اللّه، ماذا يُريد؟ يُريدُ وَجْهَ اللّه لا يُريدُ شيئاً آخر، ولذا جاءت الآيةُ واضحةً في مَضمونها ودَلالَتها: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ** - هؤلاء الَّذينَ يستحقُّونَ أن يُحترَموا - **مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**﴾، حتَّى لو عاندتُهم الدُّنيا وعَاداهُم أبناءُ الدُّنيا.

في سورة الأنعام، الآيةُ الثَّانيةُ والخَمسُون بعدَ البَسْمَلة: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾، يُذَكِّرنا هذا بموقف النَّبيّ من عُمر ابن الخطَّاب حينما طَردَهُ في واقعة رَزيَّة الخَميس، واقعةُ رَزيَّة الخَميس مَذكُورةٌ في البخاري ومُسلم في سائرِ كُتُبِ المكتبة السُّنيّة وكيفَ أنَّهُم أساؤوا الأدب كما هُوَ دَيدَنُهم دَيدنُ الصَّحابَة الَّذينَ وَصَفَهُم القُرآنُ في سورة الحُجُرات الَّتي نزلت آياتُها الأولى في أبي بَكرٍ وعُمر بِحسبِ البُخاري وغيره: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ** - هؤلاء هُم الصَّحابَة، وهذه الآياتُ نزلت في أبي بَكرٍ وعُمر - **أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ**﴾.

وأدلُّ دليلٍ على ذلك ما جاء في سورة الجُمُعة حينما تركوا رَسُولَ اللّه في مَسجده قَائماً وذَهَبُوا كَي يشتركوا في الرَّقص والغناء: ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً** - هؤلاء الصَّحابَة منَ المهاجرينَ والأنصار، بِحسبِ البُخاري لم يبقَ في المسجد إلَّا اثنا عَشر رَجُلاً، وبِحسَبِ رواياتنا فإنَّ العَددَ أقلُّ من ذَلكَ بكثير - **أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا**﴾ سَوَّدَ اللّهُ تعالى وُجوهَهُم، ماذا فعلوا؟! ولكنَّ القُرآنَ قالَ بأنَّ أكثرَهُم لا يعقلُون، هؤلاءِ تُريدونَ منهُم أن يَجعلَ اللّهُ سُبحانَهُ وتعالى الوَلايَةَ في أيديهم وأن يجعلَهُم الأمناء على القُرآن وحقائقه، هل هذا الكلامُ منطقيٌ؟!

﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾، مُستحيلٌ أنَّ الأنبياء يطردُونَ أولياءَ اللّه الَّذينَ لا يُريدونَ إلَّا وَجهَ اللّه، وإنَّما يَطردُونَ المنافقين، وإنَّما يَطردُونَ الَّذينَ لم يدخُل الإيمانُ في قُلوبهم..

في السِّياق نفسه؛ الآيةُ الثَّانيةُ والسَّبعُون بعدَ المئتين بعدَ البَسْمَلَة من سُورة البَقَرة: ﴿**لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾، موطنُ الحاجة منَ الآية: ﴿**وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ**﴾، التَّأكيدُ واضحٌ جِداً على أنَّ الجهة الَّتي تَتَّجهُ العبادةُ إليها تَتَّجهُ الأعمالُ إليها، ترتبط النِّيّةُ بها، تتواصَلُ العَقيدةُ معها هيَ وَجْهُ اللّه، ووَجْهُ اللّه غَيرُ اللّه..

في الآيَة الثَّانية والعشْرين بعدَ البَسْمَلَة من سُورة الرَّعد: ﴿**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ**﴾، نقرأُ الآيةَ الَّتي قبلَ هذه الآية: ﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**﴾، وعَهدُ اللّه هُوَ العَهدُ الأكبر، والعَهدُ الأكبرُ الَّذي جاءَ مَذكُوراً في الآيَة السَّابعة والستين بعدَ البسملة من سُورة المائدة: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾، هذا هُوَ العهدُ الأكبر الَّذي من دُونه فإنَّ الرسالةَ بِكُلِّ تفاصيلها تُساوي صِفراً، فلا يُوجدُ في ديننا عَهدٌ يكونُ أكبرَ من هذا العهد..

﴿**الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ** - إنَّهُ الغَدير - **وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ** - ميثاقُ الغَدير - **وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ**﴾، هكذا نُخاطبُ الزَّهراءَ في زياراتها: (وَمَن وَصَلَكِ فَقَد وَصَلَ رَسُولَ اللّه، وَمَن قَطَعَكِ - يَا زَهراء - فَقَد قَطَعَ رَسُولَ اللّه، وَمَنْ جَفَاكِ فَقَد جَفَا رَسُولَ اللّه)، الَّذي يريدُ أن يَصِلَ رَسُولَ اللّه فإنَّ رَسُولَ اللّه يُريدُ منه أن يَصِلَ عترتهُ؛ أن يَصِلَ عَلياً وآلَ عليّ، أن يَصِلَ فَاطمَةَ وآلَ فَاطمَة.

- **وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ**﴾، "سُوءِ الحِسَاب"؛ يعني المُدَاقَّةَ في الحِسَاب وإلَّا فإنَّنا لا نستطيعُ أن نَصِفَ حسابَ اللّه بأنَّهُ حسابٌ سيء، هذا المضمونُ الَّذي نقرؤهُ في الأدعية ونَطلُبُ منَ اللّه سُبحانَهُ وتَعالى أن يُعاملَنا بِلُطفه لا أن يُعاملَنا بِعَدله، لأنَّ اللّه نَفسهُ يَصِفُ المعاملةَ بالعَدلِ بِسُوء الحِساب..

-﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾..

في سورة اللَّيل، الآيةُ السَّابعةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسْملَة والَّتي بعدَها: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾، يُجَنَّب نارَ العَذاب بِحَسَبِ السِياق المتقدِّم في الآيات: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ۞ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۞ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى - مَن هُوَ هذا الأتْقَى؟ - الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۞ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۞ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۞ وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾، الآياتُ فيها إشاراتٌ عَميقةٌ ودقيقةٌ جدّاً، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾، إذا أردنا أن نَقِفَ عندَ هذه الآية فإنَّها لاتَنطَبِقُ إلَّا على رَسُولِ اللّه صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَآله، هُوَ الوحيدُ الَّذي تنطبقُ عليه هذه الآيةَ، هُوَ سَيِّدُ النِّعَم، هُوَ الْمُنعِمُ الأوَّلُ والآخِر بصريحِ آيات القُرآن..

التركيزُ واضحٌ جدّاً في آيات الكتاب الكريمِ على أنَّنا إذا أردنا أن نَقتربَ مِنَ اللّه فَعَلينا أن نَتوجَّهَ إلى وَجْهِه الأنْوَر، ووَجهُهُ الأنْوَرُ مَخلُوقٌ، هذا الوجهُ الأنورُ عُنوانُهُ؛ "مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجْمَعِيْن.

زُبدةُ المخض من كُلِّ ذلك تتجلَّى في هـذه الآية:

الآيةُ التَّاسعةُ والسَّبعون بعدَ البسْملة مِنَ سورة الأنعام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، مَا أنا مِنَ الْمُشرِكِينَ الَّذينَ يُوَحِّدونَ مِن دُونِ توسّل، الَّذينَ يُوحِّدونَ من دُونِ أن يتوجهوا بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد إلى اللّه، أو من دُونِ أن يتوجّهوا إليهم لأنَّهم وَجْهُ اللّه.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾، هذا التَّعبيرُ دقيقٌ جدّاً، الوجهُ هُنا القَلْب، أينَ أوَجِّهُ وَجْهِي؟ صحيحٌ هُناكَ القِبلةُ وهي وسيلةٌ ماديَّةٌ محدودة، لكنَّ الكلامَ في الآيةِ إنَّني وَجَّهتُ قَلْبِي وعَقلِي ومَداركي ووِجداني وضَميري وفطرتي، لماذا لم تَقُل الآيةُ (إنِّي جَعَلتُ وَجهِيَ لِلَّذي فَطَرَ السَّماوات وَالأرْض) وإنَّما قالت الآية: **﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾؟!** فَوجهِي هُوَ قَلبِي، وإنَّما جاء التَّعبيرُ من نَفسِ اللَّفظة؛ (وَجَّهْتُ وَجهِي)، وَجهِي هُو قَلبِي وأنا وَجَّهتُهُ، لأنَّني قد ذَهبتُ بعيداً في أعماقِه ولا أستطيعُ أن أذهبَ بعيداً في أعماقه من دُونِ أن أُطَهِّرَهُ، ومن هُنا فإنَّ البراءة لابُدَّ أن تُزيِّنَ قُلُوبَنا وعُقُولَنا قَبلَ كُل شيء.

في سورة البقَرة، الآيةُ السَّادسةُ والخَمسون بعدَ المئتين بعدَ البسْملَة: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ - كيفَ هذا التَّبَيُّن؟ - فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ -أوّلاً - وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ - بعدَ ذلكَ يأتي التَّفريع بالفاء: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

"إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ"؛ ذهبتُ في أعماقِه بَعيداً ولن أستطيعَ أن أفعلَ ذلكَ من دُونِ تَطهيره، من دُونِ تَنظيفه، وإنَّما تُنظَّفُ العُقُولُ والقُلُوبُ بعقيدة البراءة، وأتحدَّثُ هُنا عَن البراءة الفكريَّة العقائديَّة، لا عَن البراءة اللِّسانيّة باللَّعنِ والسِّبابِ وإعلانِ البَراءة القوليّة، هذا شيءٌ مُهِمٌّ، لكن لا أهميّةَ لهُ بالقياسِ إلى البراءة الفكريَّة العقائديَّة - **لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.

في سورة الإنسان والَّتي تُعرف بسورة "هل أتى"، حيثُ في بدايتها بعدَ البسْملَة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، الآيةُ التاسعةُ بعدَ البسملة: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾، الحادثةُ المعروفةُ الَّتي جرت في بَيتِ فَاطمَة إطعامُ المسكينِ واليتيم والأسير، هذه دُروسٌ عمليَّةٌ لنا، وهذا خطابٌ تَعليمي، ألسنا نقرأُ في سورة الجُمُعة في الآية الثَّانية بعدَ البسْملَة: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ - ماذا يَفعلُ هذا الرَّسول؟ - يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ - هُوَ بنفسه - وَيُزَكِّيهِمْ﴾، عَمليَّةُ التَّزكية مصداقٌ من مَصاديقها هُوَ هذا البرنامج الَّذي جرى في بيت عَلِي وفَاطمَة، لأنَّ التَّزكيةَ قد تكونُ بالدُّعاء لَهُم والصَّلاة عليهم، مثلما نقرأُ في سورة التوبة، الآية الثَّالثة بعدَ المئة: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، الآيَةُ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا - هذه عمليَّةُ تزكية، مصداقٌ من مصاديقِ التَّزكية - وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾، عمليَّةُ التَّزكية قد تكونُ بالصَّلاة عليهم، بالدُّعاء لَهُم، بالاستغفارِ لَهُم، بأخذ الصَّدقات منهُم، بإعطائهم هذه الدُّروس الأخلاقيّة والعمليّة الَّتي تُنفَّذُ عبرَ رَسُول اللّه وعبرَ آله الأطهار.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا - فَفَاطمَةُ وآلُ فَاطمَة ليسوا مُحتاجِينَ لمثل هذا، نَحنُ الَّذينَ نحتاجُ لمثل هذا، هذا دَرسٌ عمليٌّ يُنفَّذُ في بيت فَاطمَة - **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** - ما هُم وَجهُ اللّه، فهل أنَّ وَجهَ اللّه يُطعِمُ المسكينَ واليَتيمَ والأسيرَ لأجلِ وَجْهِ اللّه لأجلِ نَفسه؟! هذه دُروسٌ وعِبرٌ لنا - **لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾، لا يُريدونَ إلَّا وَجهَ اللّه، هؤلاء هُم العَبيدُ الوُجهاء الَّذينَ هُم في مَقام التَّوسُّل بِوَجْه اللّه..

البانوراما هذه قُرآنيَّةٌ بامتياز من بِدايَتِها وإلى هذه اللَّحظة وإلى نِهايَتِها، إنَّني جعلتُ آيات القُرآن أساساً في كُلِّ تفاصيلها..

أعتقدُ أنَّ الحقائقَ صارت جَليَّةً وبَيِّنةً فيما يَرتبطُ بِعُنواننا: "مَا بَيْنَ التَّوجُّه بِهِم إلى اللّه والتَّوجُّه إليهِم لأنَّهُم وَجْهُ اللّه"، الآياتُ تحدَّثت عَن نَفسها بِنفسها، لكنَّني سأمرُّ على أدعيتهم وزياراتهم وسأختارُ الأدعيةَ والزِّيارات المشهورةَ الَّتي تَعرفونها، سأقرؤها جميعاً من (مفاتيح الجنان)، لأنَّكم تقرؤونَ من دُونِ تَدبُّر، أميرُ الْمُؤمنين يقول: (**أَلَا لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّر**)، وهذا يعني أنَّ القارئَ لا خَير فيه..

دُعاء التَّوسُّل؛ دُعاءٌ معروفٌ مرويٌّ عَن الأئمَّة صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم، هذا الدُّعاءُ كُلُّ كَلماته تقولُ من أنَّ التَّوسُّلَ أساسُ علاقتنا بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد، الكَلمات الأخيرة من هذا الدُّعاء في (مفاتيح الجنان): **يَا سَادَتِي وَمَوَالِيَّ** - أنا أُخَاطبُ هُنا مُحَمَّداً وعَلِياً وفَاطمَةَ والأئمَّةَ من وُلْد فَاطمَةَ منَ الْمُجتَبى إلى القَائم - **إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكُم أَئِمَّتِي** - فإنَّ فَاطمَةَ إمامٌ منَ الأئمَّة الَّذينَ مَرَّ ذكرُهُم "أئمَّتِي" - **وَعُدَّتِي لِيَومِ فَقْرِي وَحَاجَتِي إِلَى اللّه، وَتَوَسَّلتُ بِكُم إِلَى اللّه، وَاسْتَشْفَعْتُ بِكُم إِلَى اللّه، فَاشْفَعُوا لِي عِنْدَ اللّه** - هذه شَفَاعةٌ في الدُّنيا وفي الآخرة - **وَاسْتَنْقِذُونِي من ذُنُوبِي عِنْدَ اللّه فَإِنَّكُم وَسِيلَتِي إِلَى اللّه، وَبِحُبِّكُم وَبِقُربِكُم أَرْجُو نَجَاةً مِنَ اللّه، فَكُونُوا عِنْدَ اللّه رَجَائِي يَا سَادَتِي يَا أَوْلِيَاءَ اللّه** - إلى آخرِ ما جاءَ في كَلِمات الدُّعاء الشَّريف، هذا الدُّعاءُ يربينا بِوضُوحٍ وصراحةٍ على أنَّ علاقَتنا مع مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد يتجلَّى مَضمونُها في أن نَتَّخذَهُم وَسيلةً إلى اللّه، هذا هُوَ التَّوسُّلُ في مَقامه الأوَّل..

في زيارَة آل ياسين:

إنَّها الزِّيارةُ المعروفةُ المرويَّةُ عَن إمام زَماننا صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، هُوَ بَعثَها إلَينا من دُونِ طَلَب، ما جاء في الْمُقدِّمة: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ، لَا لِأَمْرِهِ تَعْقِلُونَ وَلَا مِن أَوْلِيَائِهِ تَقْبَلُونَ** - فماذا نَصنعُ لَكُم؟! لا أنتُم الَّذينَ بإمكانكُم أن تُدَبِّروا أُمُوركُم بأنفُسكم، ولا أنتُم تَقبلونَ ممَّن هُوَ قادرٌ على أن يُدَبِّرَكُم - **حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللّه الصَّالِحِينَ، إِذَا أَرَدْتُم** - هذا كلامُ إمام زمانكُم - **التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللّه تَعَالَى وَإِلَيْنَا** - أن تَتوجَّهوا إلينا، هذا هُوَ دينُ العِتْرَة يا أيُّها الَّذينَ تُريدونَ دِينَ العِتْرَة، هذا الكلامُ يَأتي مُنسجِماً مع مَنطق القُرآن، واللّه هذا هُوَ الدِّينُ النَّقي..

فَهُناكَ مَقامَان:

- المقامُ الأوَّل: أن نَتوجَّهَ بِهِم إلى اللّه.

- والمقامُ الثَّاني: أن نتوجَّهَ إليهِم.

-**إِذَا أَرَدتُم التَّوَجُّهَ بِنَا إِلَى اللّه تَعَالَى وَإِلَيْنَا فَقُولُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ** - وليسَ كما نقرأُ في الـمُصحف: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾، هذا تَحريفٌ، لَكنَّنا نقرأُ الْمُصحفَ كما هُوَ لأنَّنا أُمِرنا بذلك ونَحن عَبيدٌ مُسلِّمون، لكن في التفسيرِ إنَّنا نُفَسِّرُ القُرآنَ بِحسبِ قراءة العِتْرَة الطَّاهرة..

رواياتُنا تَقُول: "اقرؤوا في الْمَصاحف مثلما يقرأ النَّاس - يعني الْمُخالفين - حتَّى يأتيكُم مَن يُعلِّمكم"، هُنا عَلَّمنا في هذهِ الزِّيارة، لكنَّنا ننتظرُ التَّعليمَ الأكبر عندَ ظُهوره الشَّريف صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْه..

فِي دُعاء النَّدبَة:

وهُوَ الدُّعاءُ المرويُّ في كُتُبِ الأدعيةِ عن إمامنا الصَّادقِ ومَرويٌّ أيضاً عن إمامِ زَماننا صلواتُ اللّهِ عليهِم أجمعين، وإنَّما تَتكرّرُ روايةُ الأدعيةِ أو الزِّياراتِ عنهُم صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم لأجلِ أن يُلفتوا أنظارَنا إلَى أهميّةِ هذا الدُّعاء أو أهميّةِ تلكَ الزِّيارة.

في (مفاتيح الجنان)، هذا الدُّعاءُ يَشتَملُ على المضمُونَين:

فنقرأُ في بدايته: **اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ مَا جَرَىٰ بِه قَضَاؤُكَ فِي أَوْلِيَائِكَ الَّذِيْنَ اسْتَخْلَصْتَهُم لِنَفْسِكَ وَدِيْنِك إِذْ اخْتَرتَ لَهُم جَزِيْلَ مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيم الَّذِيْ لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا اضْمِحْلال بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِم الزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَـٰذِه الدُّنْيَا الدَّنِيَّةَ وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجِهَا فَشَرَطُوْا لَكَ ذٰلِك وَعَلِمْتَ مِنْهُم الوَفَاءَ بِه فَقَبِلْتَهُم وَقَرَّبتَهُم وَقَدَّمْتَ لَهُم الذِّكْرَ العَلِيّ وَالثَّنَاءَ الجَلِي وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِم مَلَائِكَتَك وَكَرَّمتَهُم بِوَحْيِك وَرَفَدْتَهُم بِعِلْمِك** - الحديثُ هُنا عن الأنبياء، عن الأوصياء، عن خواصِّ الأوْلياء، موطنُ الشَّاهد هُنا - **وَجَعَلْتَهُم الذَّرِيْعَةَ إِلَيْكَ وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِك** - جعلتهم الذَّريعةَ السّبب، جعلتهُم الذَّريعة البوّابةَ، هذا هُوَ التَّوجُّهُ بِهِم بالأوْلياء.

الدُّعاء يَشتَملُ على المضمون الأرقى أيضاً على أن نَتوجَّهَ إليهِم، نقرأُ في دُعاء النُّدبَة ونَحْنُ نُخاطبُ إمامَ زماننا صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه: **أَيْنَ بَابُ اللّه الَّذِي منهُ يُؤْتَى، أَيْنَ وَجْهُ اللَّه الَّذِيْ إِلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاء** - وَقلبُ الدُّعاء هذه الجُملة: (**أَيْنَ وَجْهُ اللَّه الَّذِيْ إِلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، هذه الجُملةُ تختصرُ كُلَّ الكلام تُريدونَ دينَ صَاحبِ الزَّمانَ هَذا هُوَ، فَهُم الوَسيلَةُ نَتوسَّلُ بِهم إلى اللّه، هذا المقامُ الأوَّل، المقامُ الثَّانِي هُم وَجْهُ اللّه الَّذِي إليه نتوجّه..

فِي الزِّيَارَة الجَامعَة الكَبِيْرَة:

أذهبُ إلَى الكَلِماتِ المباشرة الَّتي ترتبطُ بِحديثي: **مُسْتَجِيْرٌ بِكُم**- أخاطبهُم - **زَائِرٌ لَكُم، لَائِذٌ عَائِذٌ بِقُبُورِكُم، مُسْتَشْفِعٌ إِلَىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ بِكُم، وَمُتَقَرِّبٌ بِكُم إِلَيْه، وَمُقَدِّمُكُم أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي** - الكَلِماتُ واضحةٌ إنَّهُ مَقامُ التَّوسّل الأوَّل نَتوسَّلُ بِهم إلى اللّه..

وفي الجُمل الأخيرة من الزِّيارة الجامعة الكبيرة المرويّة عن إمامنا الهادي صَلَواتُ اللّه عَلَيْه، إنَّها القولُ البليغُ الكامل فلابُدَّ أن تشتملَ على مقامَيّ التَّوسّل، في الجُمل الأخيرة من الزِّيارة: **اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّد وَأَهل بَيته الأَخْيَار الأَئِمَّة الأَبْرَار لَجَعَلْتُهُم شُفَعَائِي فَبِحَقِّهِم الَّذِيْ أَوْجَبْتَ لَهُم عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِيْ جُمْلَةِ العَارِفِينَ بِهِم وَبِحَقِّهِم وَفِي زُمرَة الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِم** - إلى آخرِ ما جاءَ من كَلِماتِ الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة، هذا هُوَ التَّوجُّهُ بِهِم.

أمَّا التَّوجُّهُ إليهِم، وإن كانت العبارةُ هُنا مُحرَّفة، لكنَّني سأقرأُ الصيغةَ الصَّحيحة ويُمكنكم أن تَجدوها في كتابٍ (عيونُ أخبار الرِضا) للصّدوق: **بِأَبِي أَنْتُم وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، مَن أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ** - هذا هُوَ التَّوجُّهُ إليهِم، الَّذي يُريدُ اللّهَ يَبدأُ بِهِم - **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُم** - التَّوحيدُ يأتي من خلالكم - **وَمَن قَصَدَهُ** - المطبوعُ هُنا (**تَوَجَّهَ بِكُم**)، وهذا تَحريفٌ - **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ إِلَيْكُم** - مثلما قرأنا قبلَ قَليلٍ في دُعاء النُّدبَة: (**أَيْنَ وَجْهُ اللّه الَّذي إِلَيه** - وليس (به) - **يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، لا يُمكنُ أن تكونَ الزِّيارةُ الجامعةُ الكبيرةُ قولاً بليغاً كاملاً وهيَ لا تشتملُ على مقامَيّ التَّوسّل اللَّذَينِ ذُكرا في عشراتٍ وعشرات من آيات الكتاب الكريم، ولذا فإنَّ النَّصَّ الصَّحيح مثلما جاءت الزِّيارةُ في (عيون أخبار الرِضا) للصَّدوق - **مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم، وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُم وَمِنَ الوَصْفِ قَدْرَكُم** - الكلامُ بِحسبِنا ونَحْنُ قَاصرونَ ومُقَصِّرون، الأملُ في النَّجاة بِنظرة لُطف منَ الحُجَّة بنِ الحسَن صَلَواتُ اللّه وسلامُهُ عَلَيه.

الدُّعاء المرويُّ عن إمامنا الباقرِ صَلَواتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْه والَّذي يُقرأُ بعدَ زيارة عاشُوراء ومعروفٌ في كُتُبِ الأدعيةِ يُقالُ لهُ (دعاءُ عَلقَمة)، هذا الدُّعاءُ من أهمِّ النُّصوص الَّتي تشتملُ على الكثيرِ من مَضامينِ الأسرارِ العقائديّة، هُوَ الآخرُ لكَمال مَضمونه يشتَملُ على مقامَيّ التَّوسّل:

نقرأُ في هذا الدُّعاء الشَّريف: **أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّد خَاتَمِ النَّبِيِّين وَعَلِيٍّ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْن وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّك وَبِحَقِّ الحَسَنِ وَالحُسَين فَإِنِّي بِهِم أَتَوَجَّهُ إِلَيْك** - هذا تَوجّهٌ بهم - **فِي مَقَامِي هَـٰذَا وَبِهِم أَتَوَسَّلُ وَبِهِم أَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ وَبِحَقِّهِم أَسْأَلُكَ وَأُقْسِمُ وَأَعْزِمُ عَلَيْك وَبِالشَّأْن الَّذِيْ لَهُم عِنْدَك وَبِالْقَدْرِ الَّذِيْ لَهُم عِنْدَك وَبِالَّذِيْ فَضَّلْتَهُم عَلَى العَالَمِين وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُم وَبِه خَصَصْتَهُم دُونَ العَالَمِيْن وَبِه أَبْنَتَهُم وَأَبَنْتَ فَضْلَهُم مِنْ فَضْلِ العَالَمِيْن حَتَّى فَاقَ فَضْلُهُم فَضْلَ العَالَمِيْنَ جَمِيعاً، أَسْأَلُكَ** - إلى آخرِ ما جاء في الدُّعاء الشَّريف، هذه الجُملُ قَويَّةٌ جِداً في التَّوسّل وفي التَّوجّه بمُحمّد وعَلي وفَاطمةَ والحَسَنِ والحُسَين، وكُلُّ العبائرِ هذه تدورُ مدارَ عقيدة التَّوحيد، إنَّهُ توحيدُ مُحمَّد وآل مُحمَّد صَلَواتُ اللّه وسلامُهُ عَلَيهِم أجمعين.

في الدُّعاء نَفسه: **انْقَلَبْتُ عَلَىٰ مَا شَاءَ اللّه وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّه مُفَوِّضاً أَمْرِي إِلَىٰ اللَّه مُلْجِئاً ظَهْرِي إِلَىٰ اللَّه مُتَوَكِّلاً عَلَىٰ اللّه وَأَقُولُ حَسْبِيَ اللّهُ وَكَفَىٰ سَمِعَ اللّهُ لِمَنْ دَعَا** - جوهر الدُّعاء هُنا: **لَيْسَ لِي وَرَاءَ اللَّه وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي** - الخطابُ موجّهٌ إلى مُحمّد وآلِ مُحمَّد صَلَواتُ اللّه عَلَيهِم - **يَا سَادَتِي مُنْتَهَى** - نهايةُ النِّهايات عندَكُم، فأنتُم وَجْهُ اللّه الأكرم..

فِي خَاتِمَة دُعَاء الجَوشَنِ الصَّغِيْر:

وهُوَ دُعاءٌ يتميّزُ بأسلُوبه وبِمطالبه عَن سائر الأدعية الأخرى، هُوَ من أدعيَتهم مَرويٌّ عَنهُم صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم، في آخر الدُّعاء الشَّريف هُناكَ سُجُودٌ فإنَّ الدَّاعيَ يسجُدُ على وجههِ على الأرض ويقُولُ هذه الكَلمات: **سَجَدَ وَجْهِي الذَّلِيْل** - لمَن؟ - **لِوَجْهِكَ العَزِيْزِ الْجَلِيْل** - فهذَا الوَجْهُ الجسديّ سَجَدَ، ولكنَّ وراءهُ سُجُودُ العَقْلِ والقَلْبِ الَّذي يَسجُدُ ما هُوَ جِسمي، جِسمي يُترجِمُ سُجُودَ عَقلي وقَلبي، حينما أسجدُ على الأرض فإنَّ السّجودَ ليسَ هُوَ هذا، هذا الَّذي يكونُ على الأرض ويراهُ الرائي هذا ترجمةٌ للسُّجود الأصل الَّذي هُوَ سُجودُ عقلي وقَلبي، سجودُ وجداني وضَميري، سُجودُ فطرتي، سُجودُ وجُودي وجُودي، وجودي أعظَمُ من هَيكَلي وبَدَني، هَيكَلي وبَدَني أثرٌ من آثارِ وجُودي والَّذي يَسجُدُ للّه وجودي وليس بَدني..

فهذا السُّجودُ لوجه اللّه، هل تستغربونَ وأنتُم تَعرِفونَ أنَّ الملائكةَ طُرّاً سَجَدُوا لأبينا آدم وهُوَ من شيعَتهم وما هُوَ من أفضلِ شيعَتهم..

- **سَجَدَ وَجْهِي البَالِي الفَانِي لِوَجْهِكَ الدَّائِم البَاقِي** - كُلُّ شيءٍ مرَّ عَلَينا من أنَّهُ ما من شَيءٍ إلَّا وَهُوَ مَحكُومٌ بالهَلاك إلَّا إلَّا وَجْهَه، ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾، كما في سورة الرحمن - **سَجَدَ وَجْهِي الفَقِيرُ لِوَجْهِكَ الغَنِي الكَبِير، سَجَدَ وَجْهِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَجِلْدِي وَعَظْمِي وَمَا أَقَلَّت الأَرْضُ مِنِّي لِلَّه رَبِّ العَالَمِين** - لأنَّ سُجُودي لوجهه سجودٌ لَه..

مثلما جاء في أحاديث إمامنا الصَّادق، هذا الَّذي سألَ الإمامَ الصَّادقَ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه: هل يَجوزُ السُّجُودُ لغَير اللّه؟ فَقالَ الإمامُ الصَّادقُ: لا، لا يجوزُ السُّجودُ لغَير اللّه، قَالَ: إذاً لماذا سَجدت الملائكةُ لآدم؟ فَقالَ الإمامُ: إنَّ الملائكةَ سَجَدُوا للّه لأنَّهُم سَجَدُوا لآدمَ بأمرِ اللّه، فإنَّما سَجَدُوا للّه التزاماً بأمره..

ومسكُ الختامِ بما جاء في الزِّيارة الرّجبيّة الجامعة وهيَ مرويّةٌ عن إمامِ زماننا، هكذا نُسَلِّمُ عليهِم صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم: **السّلَامُ عَلَيْكم إِنِّي قَصَدْتُكُم وَاعْتَمَدتُكُم بِمَسأَلَتي وَحَاجَتي وَهِيَ فَكَاكُ رَقَبَتي منَ النَّار وَالْمَقَرُّ مَعَكُم فِي دَارِ القَرَارِ مَعَ شِيْعَتِكُم الأَبْرَار** - إنَّني أطلبُ منهُم مُباشرةً، لا أتَوجَّهُ بِهِم أتَوَجَّهُ إليهِم - **وَالسّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار، أَنَا سَائِلُكُم وَآملُكُم فِيمَا إِلَيْكُم التَّفْوِيض** - الأمرُ بأيديكُم - **وَعَلَيْكُم التَّعْوِيض فَبِكُم يُجْبَرُ الْمَهِيض** - المهيض الكَسير - **وَيَشْفَى الْمَرِيْض وَمَا تَزْدَادُ الأَرْحَامُ وَمَا تَغِيض، إِنِّي بِسرِّكُم مُؤْمِن وَلِقَولِكُم مُسَلِّمٍ وَعَلَى اللّه بِكُم مُقْسِم** - الكلامُ هنا عن التَّوسّلِ في المقام الأوّل أتَوَجّهُ بِهِم إلى اللّه، لكنَّ الجُملَ السّابقة كانت في المقَام الثَّاني من مقامات التَّوسّل أنَّني أتوجّهُ إليهِم؛ "**أَنَا سَائِلُكُم وَآملُكُم فيمَا إِلَيْكُم التَّفْوِيْض وَعَلَيْكُم التَّعْوِيْض**".

أمّا هُنا: **إِنِّي بِسرِّكُم مُؤْمِن وَلِقَولِكُم مُسَلِّم وَعَلَى اللّهَ بِكُم مُقْسِم فِي رَجْعِي بِحَوَائِجِي وَقَضَائِهَا وَإِمْضَائِهَا وَإِنْجَاحِهَا وَإِبْرَاحِهَا وَبِشُؤُونِي لَدَيْكُم وَصَلاحِهَا** - هذا في المقام الأوّل من مقامَي التَّوسّل أنَّني أتَوجَّهُ بِهِم إلى اللّه.

تُلاحظونَ أنَّ الأدعيةَ والزياراتِ تَشتَمِلُ على المقامَين بالضَّبط مثلما وجدنا ذلكَ صَرِيحاً واضِحاً في الكتاب الكريم.